الصحوة وصراع الأمومة والأنوثة...

كالضربة القاضية فاجاني «قرار» نايفة بوضع حد لحياتها والانسحاب من دنيانا الى دنيا الآخرة.

لماذا قررت هذا الامر..اهي حالة ياس او مبادرة شجاعة ! لماذا قررت نايفة الرحيل، العلها تريد ابلاغنا قرار عجزنا جميعا عن اعادة وحيدها «عليّ» رغم وعودنا الكاذبة ؟

او تريد فضحنا بدون استثناء عن هذه المأساة الملهاة، عن هذه المسخرة التي نعيشها ؟

صدمني نبأ انتحارها ، هزتني صورة الحياة في جنتيها، لمّ وضعت نايفة حدا لآمالنا في عودة وحيدها وعودة الاخرين المخطوفين والمفقودين والمأسورين والمهجرين والمشردين...

لماذا وجهت نايفة صفعة لوعود المسؤولين عن ترتيب عودة المخطوفين بعد استتباب الخطة الامنية ؟

لم عرتني نايفة صباح امس وأنا منهمك مع ما تبقى من الاصدقاء نبحث عن صيغة ترتيب «سهرة» رأس السنة القادمة فاعادتني قسرا الى لوحة الصراع التي حاولت اياد كثيرة ووجوه متعددة تغييبها او تغليفها او تسفيهها او تحييدها او ابعادها ؟

لم هذا الانتقام من الاحياء يا «نايفة» وكلنا شوق لعودة وحيدك ؟

صحيح اننا بتنا نؤثر الهرب عند رؤيتك كلما واجهتينا بالجديد عن عودة المخطوفين ؟

وصحيح ان بعضنا ملّ من «الخبرية» ذاتها التي تتكرر يوماً بعد يوم.

وصحيح اننا كدنا جميعا نياس من عودته الى امه سالما ومن عودة بقية المخطوفين ، فصرنا مبشرين بالامر الواقع .... ؟

وصحيح اننا بتنا نجتر الوعود رغم عدم صحتها ونشارك عن وعي او بدون وعي في تعميم الكذب والنفاق حول هذه القضية وسواها رغم براءة بعضنا، وعدم ثبوت ادانتنا بجرائم البلادة وتحجّر العاطفة ؟

الم يكن من وسيلة اخرى لتذكيرنا بالمخطوفين والخاطفين وباذلي المساعي الحميدة والوسطاء والسجانين واقبية التعذيب غير اقدامك على الانتحار ؟

ولماذا استفردت بهذا القرار الجريء يا ام علي ؟ ولم تنتسبي الى «نقابة» اهالي المخطوفين، وتشاركي الاخرين الاعتصام والتحرك ومقابلة المسؤولين والاستصراح عن هذه القضية من الناحية الانسانية على الاقل... لتحريك الضمائر اذا بقيت وابقائها حية في الاذهان ؟

لماذا لا تنشر صورة وحيدك في باب اعلانات الصحف وتدفعي رسم النشر «كاعلان» لعل احدا من «الشرقية» لقيه صدفة او اجتمع به خلسة فيرشدك الى مقره ومأواه !

لماذا انتصرت فيك الامومة على الانوثة ! الهذا الحد كنت امّا عظيمة ولم نكن ندري بالعظيمات... العظيمات بين نسائنا ونحن ملتهون «بالشهيرات» والانيقات منهن ؟

لماذا غيّبت الوجه الجميل والجسم النحيل والقوام الرشيق، ووهبت لوحيدك «عليّا» كل هذه الممتلكات ؟ الهذا الحد كانت انانيتك لوحيدك وكان حبك له عظيما الى حد جعلت الحياة بدونه لا معنى لها ولا مبرر ! الهذا الحد كان للحب معناه الشامل في حياتك ؟

وكيف تتنازلين بفورة غضب عن القضية ، قضية شعبنا الرازح تحت الاحتلال والمنسحق بتيار المؤامرة والمتآمرين، والمنافقين والفاشيين والاسرائيليين والرجعيين والانتهازيين والطائفيين والمذهبيين والمستصرخين يوميا لارائهم التافهة في صحف كل صباح.

ولماذا آثرت القضية «الخاصة» على القضية العامة، ام ان لك رايا آخر، بان القضية واحدة ووسائل التعبير عنها مختلفة ؟

لماذا يا نايفة لم تنتسبي الى احدى الجمعيات النسائية الهادفة «لعمل الخير» ، ومساعدة المحتاجين والمهجرين ، فتقومي ببعض الواجب ويمتلىء يومك بنشاط «ينسيك» حبك لوحيدك وغيابه عن البيت ، ام ان لك رايا اخر بهذه المسالة والنضال النسائي بصورة خاصة .

لماذا لم يدخل الملل الى قلبك ، وقد دخل الى العديد من القلوب، فآثرت الانتظار، والتريث على التحرك والمبادرة ؟

لماذا الحماسة ، وبتنا او بات معظمنا اكثر مطواعية من قبل ؟ الم تلمسي ان عامل الوقت، هو عامل قومي عربي وطني تقدمي... الخ ، ذو نكهة لبنانية ؟

ولم اختزلت الزمن واختصرت الحاضر ، ...

ولم انت مستعجلة الى هذا الحد، الم يقولوا لنا ان الصراع طويل، ويستلزم رص الصفوف وحشد الطاقات، فلم تهدري هذه الطاقة الخلاقة فتنحريها وتهدريها طمعا بخلاص النفس من عذاب «علي» وفراقه !

الا يكفينا كم من «الطاقات» هدرت وكم من الاصوات صمتت، خشية او خفية، وكم من البيانات اضمحلت ومن اللقاءات سخفت، وكيف اصبحت الامال متواضعة ؟

فدخلت على خط الهدر ، تبددين امكانية لو جمعت باخرى لولدت حدثا له وقع افعل ؟

ما الذي جرى يا «نايفة» ، من حرضك علينا، من دفعك لشتمنا في وضح النهار ونشر غسيلنا الوسخ على قارعة الطرق العامة والساحات ؟

صحيح اننا كمسؤولين لم نستطع ان نعيد وحيدك ولا بقية المخطوفين ...

وصحيح اننا كحكم لم نضع حدا لهذا الصراع الطويل الدامي في البلاد، ولم نباشر حلا سياسيا او وفاقا وطنيا...

وصحيح اننا لم نستطع ان نرتقي بحوارنا من عنف القذائف الى عنف الكلمات ...

وصحيح اننا ما زلنا نعطي الاولية لتحرير الجنوب وملحقاته.

وصحيح ان المسالة الاجتماعية مؤجلة بعض الوقت والمسالة التربوية غير ملحاحة، والمسالة الامنية تعالج بين «المجلس العسكري» و «المجلس الوزاري» وما بينهما من مجالس ملية وحزبية وعسكرية ومدنية وخلافها.

والمسالة الاقتصادية ، احيلت الى لجان الاختصاص لتجتمع وتدرس وتتخذ الخطوات الايلة الى تخفيض سعر الصرف للدولار بالنسبة لليرة اللبنانية ورفع القوة الشرائية على هذه الاخيرة، او العكس صحيح ...!

وصحيح اننا جميعا نهرب من ذاتنا من اصحابنا، من الواقع نهرب... ونهرب... ونهرب يوميا اسبوعيا سنويا غير اننا يا «نايفة» ما زلنا احياء وفي حياتنا احتمال تحول، للمقاومة والصمود، سنقاوم وسنقاوم مهما طال الزمن، وسنجمع القوى، ولن نياس مهما حاولوا تيئيسنا ، ولن نضعف مهما جردونا من الاسلحة ولن ننتحر...

يكفينا ان تكوني بيننا لنكون اقوياء ، ونستعيد «عليّا» ورفاقه، وستبقين معنا ، فكرا وجراءة وحكاية امراة وامومة صارخة وانوثة... لكني لن اسامحك يا «نايفة» لانك احرجتينا علنا فاخرجتينا عن صمتنا ولهونا وعبثنا فنكبر لك هذه الصحوة.. لانها قد تكون مفيدة للجميع.

فؤاد شبقلو